

الاغتراب النفسي

أ/ شفاء لوبيري

مقدمة:

تعتبر ظاهرة الاغتراب النفسي ظاهرة اجتماعية نفسية ومشكلة إنسانية باتت دراستها مسألة مهمة بالنسبة لعامة الناس وعند المختصين و العارفين بهذا المجال، ولقد شغلت هذه الظاهرة اهتمام وتفكير العديد من الفلاسفة والمنظرين أمثال هيجل، دور كايم فروم، سيمان، الأمر الذي أسهم في استجلاء وتوضيح مفهوم الاغتراب بكل دلالاته وأسبابه كما ان هذا المصطلح يعتبر الآن من أكثر المصطلحات تداولاً في الكتابات التي تعالج مشكلات المجتمع الحديث ، وبخاصة المجتمع الصناعي المتقدم ، و قد ظهرت في السنوات الأخيرة مؤلفات كثيرة في اللغات الأجنبية تتناول مفهوم الاغتراب و تطوره و أساليب معالجته في مجالات الفلسفة و فلسفة السياسة و العلوم الاجتماعية و الإنسانية ، وإن لم يظهر في اللغة العربية حتى الآن سوى عدد قليل جداً من الكتب و المقالات ، على الرغم من أن الاغتراب يعتبر في نظر الكثير من المفكرين و الكتاب من أهم السمات المميزة للعصر.

وللتعرف على هذه الظاهرة، سنتطرق في هذا المقال بشيء من التفصيل إلى الاغتراب بصفة عامة والاغتراب النفسي بصفة خاصة من خلال جوانب متعددة.

1- مفهوم الاغتراب:

-الاغتراب لغة:

اغترب يعني ابتعد و نأى، ويعني تغرب و انفصل و نقول: تغرب فهو غريب و الجمع غرباء والغرباء هم الأبعد و التغريب هو النفي عن البلد، و أيضاً الغربة النزوح عن الوطن، و يقال

غربت الشمس، تغرب غروباً أي بعدت و توارت في مغيها، و غروب الشخص بالضم غرابة أي بعد عن وطنه فهو غريب. (منصور حسن عبد الرازق، 1989، ص 10)

في قاموس علم النفس أن كلمة اغتراب تأتي بمعنى تباعد إبعاد، أما منصور فقد أشار إلى أن معنى الاغتراب في اللغة العربية يعني الابتعاد عن الوطن، وتوحي كلمة الغروب والاغتراب بالضعف والتلاشي، فنقول: غربت شمس العمر إذا كانت المرحلة هي الشيخوخة.

الاغتراب اصطلاحاً:

-دائرة المعارف البريطانية قد حددت الاغتراب بأنه يتضمن الشعور بالعجز، والشعور باللامعنى، والعزلة الثقافية، والعزلة الاجتماعية والشعور بالمعيارية، والاغتراب عن الذات (سنان، 1424هـ، ص12-13).

ولقد كان هيجل أول من استخدم هذا المصطلح ويرى أن الاغتراب يحدث نتيجة للتفاوت بين ظروف الفرد في الواقع الاجتماعي وطبيعته الجوهرية كإنسان مما يؤدي إلى اغترابه الذاتي. (السيد، 1997، ص14).

كما تعرف إجلال سري الاغتراب على أنه اضطراب نفسي يعبر عن اغتراب الذات عن هويتها وبعدها عن الواقع وانفصالها عن المجتمع، وهو غربة عن النفس، وغربة عن العالم، وغربة بين البشر (زهران وآخر، 2002، ص 404).

-وفي الموسوعة العالمية للعلوم الاجتماعية فإن مصطلح الاغتراب يستخدم على أنه تأكيد لفقدان الذات أو الانفصال عنها وفي المعجم العالمي الجديد يعرف الاغتراب بأنه انسحاب الفرد أو انفصاله من موضوع أو موقف كان له صلة به في السابق (العزلة، أو الابتعاد).

ويعرف الاغتراب أيضاً في قاموس اليونسكو للعلوم الاجتماعية إلى أنه انفصال بين أجزاء من الشخصية أو الشخصية برمتها (سامية جابر، 2004، ص164).

والاغتراب هو شعور الفرد أنه غريب عن ذاته، لا يجد نفسه كمركز لعالمه وأنه خارج عن الاتصال بنفسه كما هو خارج عن الاتصال بالآخرين (أبو بكر مرسي، 2002، ص58).

الاغتراب يعبر عما يعانيه الفرد من انفصال عن ذاته، حيث ينفصل الفرد عن مشاعره الخاصة ورغباته ومعتقداته، وهو فقدان الإحساس بالوجود الفعال. (عادل العقيلي، 2004، ص10-11).

وبناء على ما تقدم من تعريف لمصطلح الاغتراب والتي تمّ اختيارها فإننا نجد أن هذه التعاريف قدمت الاغتراب بصورة شاملة، ولم تحدده عند فئات معينة من الأفراد أو عند نوع معين.

2- أنواع الاغتراب:

هناك عدة أنواع للاغتراب وهي مرتبطة بمجالات الحياة التي يعيشها الإنسان منها المجال الثقافي، الاجتماعي، الاقتصادي والسياسي، الديني والنفسي، وتتمثل أنواع الاغتراب فيما يلي:

* الاغتراب الثقافي:

وهو ابتعاد الفرد عن ثقافته ورفضها والنفور منها والانهيار بكل ما هو غريب أو أجنبي من عناصر الثقافة، ويتضح ذلك من خلال:

أ- الاغتراب عن الثقافة الشعبية: وهو اغتراب الفرد عن الثقافة الجماهيرية ورفضها والانفصال عنها.

ب- الاغتراب عن القيم السائدة في المجتمع: وهو البعد عن القيم السائدة في المجتمع أو رفضها.

ج- الاغتراب عن معايير السلوك الاجتماعي: وهو مغايرة المعايير السلوكية السائدة في المجتمع وعدم مسايرتها.

د- الاغتراب وفقدان الاتجاه: حيث يظهر الاغتراب في انهيار الهيكل الثقافي الذي يحدث بصفة خاصة حينما يطرأ انقطاع حاد في التواصل بين الأهداف والمطامح الثقافية وبين القدرات أفراد الجماعة التي حددت بما يتفق والهيكل الاجتماعي (سناء زهران، 2005، ص 115).

* الاغتراب الاجتماعي:

وهو شعور بعدم التفاعل بين ذات الفرد وذوات الآخرين ونقص المودة والألفة الاجتماعية مع الآخرين وضعف أو اصيل المحبة والروابط مع الآخرين وأهم أسباب ظهور الاغتراب الاجتماعي هو النبذ أو الرفض أو الطرد من عالم الأهداف والدفع العاطفي (قيس النوري، 1979، ص 33).

وهو اغتراب عن المجتمع، ومغايرة معايير، والشعور بالعزلة والهامشية الاجتماعية والرفض والعجز عن ممارسة السلوك الاجتماعي العادي (سناء زهران، 2004، ص 110).

* الاغتراب الاقتصادي:

إن ضعف العلاقات الاجتماعية بين العاملين والإدارة في إحدى المؤسسات أو المنظمات الصناعية، وبين العاملين وبعضهم البعض يزيد من القوى التي تفضي إلى ضعف التماسك في بيئة العمل، وهو ما يعكس حالة من الاغتراب حيث انفصال الإنسان عن وجوده الإنساني والميل إلى الابتعاد عن الآخرين والشعور بعدم الانتماء لجماعة العمل، حيث يعامل الإنسان كما لو كان شيئاً وأنه تحول إلى موضوع وفقد إحساسه بهويته، فالاغتراب الاقتصادي يعني شعور العامل بانفصاله عن عمله، على الرغم من وجوده الجسدي داخل المنظمة والشعور بالعجز والملل بأداة عمله وشعوره بأنه ترس في آلة شيئاً في عمله، والشعور بالإحباط والخوف من المستقبل، و أن المادة هي الغاية في الحياة وليست الوسيلة (عبد اللطيف خليفة، 2003 ص 86).

* الاغتراب السياسي:

يعد الاغتراب السياسي واحد من أكثر أنواع الاغتراب شيوعاً في المجتمع المعاصر، وتبدو مظاهره وتجلياته في العجز السياسي الذي يشير إلى أن الفرد المغترب ليس لديه القدرة على أن يصدر قرارات مؤثرة في الجانب السياسي كما يفتقد إلى المعايير والقواعد المنظمة للسلوك السياسي. ويقصد بالاغتراب السياسي شعور الفرد بالعجز إزاء المشاركة الإيجابية في

الانتخابات السياسية المعبرة بصدق عن رأي الجماهير، وكذلك الشعور بالعزلة على المشاركة الحقيقية الفعالة في صنع القرارات المصيرية المتعلقة بالمصالحة واليأس من المستقبل على اعتبار أن رأيه لا يسمعه أحد وإن سمعوه لا يهتم به ولا يؤخذ به.

* الاغتراب الديني:

ورد الاغتراب الديني في كافة الأديان على أنه الانفصال أو التجنب عن الله وقد أوضح (فتح الله خليف 1979) ، أن الاغتراب الديني جاء في ثلاث درجات هي: اغتراب المسلم بين الناس واغتراب المؤمن بين المؤمنين، واغتراب العالم بين المؤمنين، والاغتراب كإحدى المشكلات الإنسانية التي تواجه الإنسان في المجتمع الحديث و يمكن أن يعود جزء كبير منه إلى نقص في الجانب الروحي، ومن ثم فإن الإنسان الحديث بحاجة إلى بعث إيمان مثلما هو بحاجة إلى بزوغ الأمل. وترجع أسباب تزايد الاغتراب الديني في هذا العصر إلى قصور عمليات وأساليب التنشئة الاجتماعية، التي يبنها المنشؤون مع الأطفال، وعدم العناية بالتربية الدينية (المرجع السابق، ص ص 101- 102).

* الاغتراب النفسي:

هو حالة نفسية يشعر الإنسان خلالها بالانفصال عن الآخرين وعدم الانسجام معهم وعدم القدرة على التكيف الاجتماعي بما يضطره للانعزال (قيس النوري، 1979 م، ص: 18). وباعتبار الاغتراب النفسي هو محور دراستنا سنتطرق إليه بصورة أوسع وأشمل.

3- مفهوم الاغتراب النفسي:

قبل التطرق إلى تعريف الاغتراب النفسي تجدر الإشارة إلى أن هذا الأخير تأخر استخدامه في مجال العلوم النفسية على الرغم من شيوع مفهوم الاغتراب فقد انتقل من فلسفة هيغل وماركس إلى أحضان إريك فروم وعلم النفس الاجتماعي ولم يستعمل بالمعنى النفسي إلا في منتصف القرن العشرين.

وقد اختلف الباحثون في إعطاء تعريف للاغتراب النفسي كل على حسب وجهة نظره، فمنهم من يرى بأنه حالة نفسية يشعر الإنسان من خلالها بانفصاله عن الآخرين وعدم الانسجام معهم وعدم القدرة على التكيف الاجتماعي مما يضطره إلى الانعزال (قيس النوري، 1979، ص:18)، ومنهم من يذهب إلى أن الاغتراب غربة عن الذات (عباس يوسف، 2005، ص:38).

أما محمد خليفة فيرى أن الاغتراب النفسي مفهوم عام وشامل يشير إلى الحالات التي تتعرض فيها الشخصية للانشاط أو للضعف والانهيار وتأثير العمليات الثقافية والاجتماعية التي تتم داخل المجتمع، مما يعني أن الاغتراب النفسي يشير إلى النمو المشوه للشخصية الإنسانية حيث تفقد فيه الشخصية مقومات الإحساس المتكامل بالوجود والديمومة، وتعد حالات الاضطراب النفسي أو التناقضات صورة من صور الأزمة الاغترابية التي تعترى الشخصية (محمد خليفة، 2003، ص:81).

ويرى أيركسون Erikson; أن الاغتراب النفسي هو عدم الشعور بتحقيق الهوية وما ينتج عن ذلك من أعراض، ويشير أيضا إلى فترة المراهقة حاسمة في نمو هوية الأنا لدى الفرد، فالمرهق الذي يكون لنفسه هدفا محددا ويسعى بكل جهده إلى تحقيقه فإن ذلك يعطيه الإحساس بالأمان ويشعره بالانتماء فتحدد هويته ويدخل في مرحلة الألفة، في حين أن غياب التوجه للمرهق يسبب غياب الهدف المركزي يؤدي به إلى الشعور بالاغتراب لأن هويته لم تحدد (إجلال يسري، 2003، ص:114).

وعرف شيرمان Sherman; الاغتراب على أنه الانعزال وهو الانفصال والابتعاد عن المجموعة أو المجتمع الأكبر، الذي يكون مصحوبا غالبا بالشعور بعدم الانتماء والإحساس بالغضب من المجموعة، ويرى Cavalcade; أن الاغتراب هو شعور بالانفصال يمكن أن يأخذ أشكالا عديدة منها: اغتراب اجتماعي، أو انعزال ثقافي بالانفصال عن القيم والرغبات الخاصة بالحضارة، والشعور بعدم القوة، وبأن أقدار الشخص خارجة عن سيطرته، وأنه ليس هناك شيء هام على الإطلاق.

أما محمد خيضر فيعرف الاغتراب على أنه: شعور الفرد بالضيق والحرمان واللا معنى للحياة والشعور بفقدان الحب وعدم السعادة، والشعور بالوحدة وانفصال الفرد عن ذاته والآخرين مما يصاحب ذلك الشعور عدم الرضا عن الذات (محمد خيضر عبد الرحمان، 1999، ص32).

4- أبعاد الاغتراب النفسي:

الاغتراب النفسي ظاهرة متعددة الأبعاد وتعتبر هذه الأبعاد دليلا على شعور الفرد به، فإذا كان الفرد يعاني من اغتراب نفسي فإنه حتما تتوفر فيه هذه الأبعاد وهي كالآتي:

* العزلة الاجتماعية:

هي شعور الفرد بالوحدة والفراغ النفسي والافتقاد إلى الأمن والعلاقات الاجتماعية الحميمة والبعد عن الآخرين حتى ولو كان بينهم (خليفة، 2003، ص39).

أيضا هي انسحاب الفرد وانفصاله عن تيار الثقافة السائدة في مجتمعه مما يجعله يشعر بالانفصال عن الآخرين والإحساس بعدم الانتماء واللامبالاة بطريقة يشعر فيها الفرد بأنه وحيد منفصل عن نفسه ومجتمعه (عباس يوسف، 2004، ص 23).

وحسب دراسات توصل لها الباحثين أن للمعاملة الوالدية أيضا أثر في العزلة الاجتماعية (راجع، 2003، ص3).

* اللامعنى:

ويقصد به أن الفرد يرى أن الحياة لا معنى لها وأنها تسير وفق منطق غير معقول، ومن ثم يشعر المغترب أن حياته عبث لا جدوى منها، فيقيد واقعيته، ويحيا نهبا لمشاعر اللامبالاة والفراغ الوجداني

***العجز:**

ويقصد به الشعور بالاحول ولا قوة، ويعجز الفرد عن السيطرة على تصرفاته ورغباته وافتقاره إلى الشعور بأنه قوة حاسمة ومقررة في حياته وفقدانه الشعور بتلقائيته ومرح الحياة (إبراهيم عيد، 2000، ص 227)

أيضا يكون الفرد غير قادر على التأثير في المواقف الاجتماعية المحيطة به، ولديه شعور بعدم القدرة على مواجهة أمور حياته الخاصة ومشاكل الحياة اليومية (سنان، نفس المرجع، ص 27)

*** اللامعيارية:**

وهي فقدان المعيار، وعدم وجود نسق منظم للمعايير أو القيم الاجتماعية التي تمكن الفرد من اختيار الفعل الأكثر اتفاقا مع وضع معين، واللامعيارية ترادف التسبب، المغايرة أي مغايرة المعايير السائدة سواء معايير الدين أو القانون أو العرف وعدم الالتزام بها.

فهي انفصال ما هو ذاتي عما هو موضوعي، حيث تنفصل غايات وأهداف الفرد عن أهداف ومعايير المجتمع، وتصبح عند الفرد الغاية تبرر الوسيلة (إبراهيم عيد، 2000، ص 227).

*** غربة الذات:**

هي حالة يدركها الفرد عن ذاته كمغترب أي أنه أضحي نافرا أو مغتربا عن ذاته وأصبحت الذات أداة مغتربة لا تعرف ماذا تريد، وهي عدم القدرة على التواصل الفرد مع نفسه وشعوره بالانفصال عما يرغب أن يكون عليه وبين إحساسه بنفسه في الواقع (سناء زهران، 2004، ص 109).

*** التشيؤ:**

هو شعور الفرد بأنه فقد هويته، وأنه مجرد شيء أو موضوع أو سلعة، وأنه لا يملك مصيره، بل تتحكم فيه قوى خارجية مستقلة (زهران وآخر، 2002، ص: 404) والتشيؤ هو شعور الفرد بأنه ليس لديه قيمة حقيقية أو كيان وإرادة حرة تمكنه من تأكيد ذاته (سنان، نفس المرجع، ص 27).

*** الالهدف:**

يقصد به أن الحياة تمضي بغير هدف أو غاية، ومن ثم يفقد الفرد الهدف من وجوده ومن عمله، ومن معنى الاستمرارية في الحياة ويترب على ذلك اضطراب سلوك الفرد وأسلوب حياته، مما يؤدي إلى التخبط في الحياة بلا هدى ويضل الطريق (سناء زهران، 2004، ص 109).

*** الرفض:**

هو اتجاه سلبي رافض ومعاد نحو الآخرين، أو نبذ بعض السلوك ويتضمن الرفض الاجتماعي والتمرد على المجتمع، وعدم التقبل الاجتماعي وحتى رفض الذات (زهران، نفس المرجع، ص 110).

*** التمرد وعدم الرضا:**

هو شعور الفرد بالرفض والكراهية لكل ما يحيط به مما يدعوه لممارسة العنف ووجود نزعة تدميرية تتجه إلى خارج الذات في شكل سلوك عدواني، وأخرى تتجه إلى داخل الذات في شكل عزلة ونكوص وعدوان موجه إلى الذات (سناء زهران، 2004، ص 109).

تعتبر أبعاد الاغتراب النفسي عن كل أشكال وصور القهر والحرمان ومشاعر البؤس والشقاء التي يعاني منها الفرد في الحياة، إذ تكاد تكون مترابطة ومتداخلة ويكمل بعضها البعض الآخر ولكل بعد منها أهميته وتأثيره في تحديد طبيعة الاغتراب النفسي للفرد ودرجة وحدة هذا الاغتراب.

5- أسباب الاغتراب النفسي:

يعزى بعض العلماء بأن الشعور بالاغتراب النفسي يكون نتيجة لعوامل نفسية مرتبطة بنمو الفرد وعوامل اجتماعية مرتبطة بالمجتمع الذي يعيش فيه، مما تجعله غير قادر على مجابهة مصاعب الحياة والتغلب عليها، كما يحدث نتيجة التفاعل بين العوامل النفسية والاجتماعية (حسن المحمداوي، 2007، ص 16-17).

أما هورني Horney فترجع الأسباب عند الفرد إلى الضغوط الداخلية حيث يواجه الفرد معظم نشاطه نحو الوصول إلى أعلى درجات الكمال حتى يحقق الذاتية المثالية ويصل بنفسه إلى الصورة التي يتصورها (سنة زهران، 2004، ص 107).

وهناك من أرجع أسباب الاغتراب النفسي إلى:

- يعزى الاغتراب النفسي إلى طبيعة النمو ذاته فإن بداية مرحلة المراهقة عبارة ما يطلق عليه: أزمة المراهقة مما ينعكس بالإحساس بالاغتراب النفسي.

- يعزى الاغتراب النفسي إلى الظروف الحضارية التي يعيشها الفرد وتؤكد الدراسات النفسية أن أزمة المراهقة ليست أزمة ثابتة في كل الحضارات ولهذا فإن طبيعة النظام الاجتماعي والثقافي الذي يعيش فيه الفرد يؤثر في تنمية الإحساس بالاغتراب النفسي.

- يعزى الاغتراب النفسي إلى احباطات الطفولة وأساليب التنشئة الاجتماعية وكذلك العوامل المعرفية والوجدانية والشخصية (فاروق عثمان، 2001، ص 137).

أما إجلال سري ترجع أسباب الاغتراب النفسي إلى:

- أسباب نفسية متمثلة في الصراع بين الدوافع والرغبات المتعارضة وبين الحاجات (كما في حالة الحرمان من الرعاية الوالدية) التي لا يمكن إشباعها في وقت واحد مما يؤدي إلى التوتر الانفعالي والقلق والاضطراب

- الحرمان: حيث تقل الفرصة لتحقيق دوافع وإشباع الحاجات كما في حالة الحرمان من الرعاية الوالدية الاجتماعية.

- الإحباط: حين تعاق الرغبات الأساسية أو الحوافز أو المصالح الخاصة بالفرد ويرتبط الإحباط بالشعور بالخيبة الأمل والفشل أو العجز التام والشعور بالقهر وتحقير الذات.

- الخبرات الصادمة: وهذه الخبرات تحرك العوامل الأخرى مسببة للاغتراب مثل الأزمات الاقتصادية والحروب.

- أسباب اجتماعية:

- ضغوط البيئة الاجتماعية والفشل في مقابلة هذه الضغوط.
- الثقافة المريضة التي تسود فيها عوامل الهدم والتعقيد.
- التطور الحضاري السريع وعدم توافر القدرة النفسية على التوافق معه.
- اضطراب التنشئة الاجتماعية حيث تسود الاضطرابات في الأسرة والمدرسة والمجتمع.
- مشكلة الأقليات ونقص التفاعل الاجتماعي والاتجاهات الاجتماعية السالبة والمعاناة من خطر التعصب والفرقة في المعاملة لسوء التوافق المهني حيث يسود اختيار العمل على أساس الصدف، وعدم مناسبة العمل للقدرة، وانخفاض الأجور.
- سوء الأحوال الاقتصادية وصعوبة الحصول على الضروريات الحياتية.
- تدهور نظام القيم وتصارع القيم بين الأجيال.
- الضلال والبعد عن الدين والضعف الأخلاقي وتفشي الرذيلة (سنة زهران، 2004، ص 107-108).
- مما سبق يتبين أن ظهور الاغتراب النفسي لدى الفرد نتيجة لسبب معين، إما نفسي أو اجتماعي أو لكليهما معاً.

6- النظريات المفسرة للاغتراب النفسي:

العديد من النظريات التي فسرت الاغتراب النفسي واعتمدت في تفسيرها على الأسباب التي ساعدت على ظهوره، فكل نظرية أرجعت الاغتراب النفسي لسبب معين حسب وجهة نظرها وهذه النظريات هي كالتالي:

* نظرية التحليل النفسي:

يرى فرويد أن الاغتراب هو الأثر الناتج عن الحضارة من حيث أن الحضارة هي التي أوجدها الفرد جاءت متعاكسة ومتعارضة مع تحقيق أهدافه ورغباته وما يصبو إليه، وهذا يعني في نظر

فرويد أن الاغتراب ينشأ نتيجة الصراع بين الذات والضوابط المدنية أو الحضارة، حيث تتولد عن الفرد مشاعر القلق والضيق عند مواجهة الضغوط الحضارية بما تحمل من تعاليم وتعتقيدات مختلفة، وهذا بالتالي يدفع الفرد إلى اللجوء إلى الكبت كآلية دفاعية تلجأ إليها الأنا كحل للصراع الناشئ بين رغبات الفرد وأحلامه وبين تقاليد المجتمع وضوابطه، ومن الطبيعي أن يكون هذا حلاً واهناً تلجأ إليه الأنا مما قد يؤدي بالتالي إلى المزيد من الشعور بالقلق والاغتراب النفسي (زعتو، 1989، ص 20).

ويحدد السيد شتا ثلاثة أنواع من الاغتراب النفسي على المستوى الشخصي والتي يمكن اجمالها كالآتي:

- اغتراب الهو: ويتمثل في سلب حريته وذلك أن حرية الهو تعني وقوع الأنا تحت ضغط الأنا الأعلى والواقع الاجتماعي، أي أن سلطة الماضي تمارس ضغطاً قوياً عليه من ناحية ويزداد افتنانه بالواقع من ناحية أخرى، ومن ثم يقوم الأنا بعملية السلب أو الانفصال (سلب حرية الهو) ويحقق الأنا ذلك بطرق عدة إما بسلب حرية الهو والقبض على زمام الرغبات الغريزية، وإما بإصدار حكمه والسماح لها بالإشباع أو تأجيل هذا الإشباع.

- اغتراب الأنا:

ويكون ذا بعدين، مرتبط الأول بسلب حريته في إصدار حكمه فيما يتعلق بالسماح للرغبات الغريزية بالإشباع من ناحية، وسلب معرفته بالواقع وسلطة الماضي (الأنا الأعلى) في حالة السماح لهذه الرغبات بالإشباع من ناحية أخرى، ومن ثم يكون الأنا في وضع مختلف دائماً سواء في علاقته بالهو أو بالانا الأعلى وهنا يجتمع اغترابه بين الخضوع والانفصال.

- اغتراب الأنا الأعلى:

ويتمثل هذا النوع من الاغتراب في فقدان السيطرة على الأنا وهي الحالة التي تأتي بدورها نتيجة لسلب معرفة الأنا بسلطة الماضي، أو زيادة الهو على الأنا، وهذا هو الجانب السلبي لاغتراب

الأنا الأعلى، أما الجانب الإيجابي للاغتراب فإنه يتمثل بمظهر الاعتماد والذي يصاحبه عدم افتتان الأنا بالواقع الاجتماعي.

ويقرر فرويد بأن الاغتراب النفسي هو سمة متأصلة بالذات الإنسانية إذ لا سبيل مطلقا لتجاوز الاغتراب بين الأنا والهو والأنا الأعلى، لأنه لا مجال لإشباع كل الدوافع الغريزية والتوافق بين الأهداف والمطلب وبين الغرائز وبعضها البعض (عفاف عبد المنعم، 1988، ص 18).

* النظرية السلوكية:

يرى أصحاب هذه النظرية بأن المشكلات السلوكية هي عبارة عن أنماط من الاستجابات الخاطئة أو الغير سوية المتعلمة بارتباطاتها بمثيرات منفردة، ويحتفظ بها الفرد لفاعليتها في تجنب مواقف أو خبرات غير مرغوبة، وأن الفرد وفقا لهذه النظرية يشعر بالاغتراب عن ذاته عندما ينصاع ويندمج بين الآخرين إلى رأي أو فكر محدد حتى لا يفقد التواصل معهم، وبدلا من ذلك يفقد تواصله مع ذاته (شتاء على، 1998، ص 242).

* نظرية المجال:

فحوى هذه النظرية يمكن أن ينصب في أنه عند التصدي للاضطرابات والمشكلات النفسية فإنها تواجه الاهتمام بشكل مركز على شخصية العميل وخصائص هذه الشخصية المرتبطة الاضطراب والمسببة له، وكذلك على خصائص الحيز الجبائي الخاص للعميل في زمن حدوث الاضطراب بالإضافة إلى أسباب اضطرابه شخصيا وبيئيا مثل الاحباطات والعوائق المادية ويرى أحمد زهران بأن الحواجز النفسية التي تحول دون تحقيق أهداف الفرد والصراعات وما قد يصحبها من إقدام وهجوم غاضبا أو إحجام وتقهر خائف، وعلى هذا فإن الاغتراب هنا ليس ناتجا من عوامل داخلية فقط بل من عوامل خارجية تتضمن سرعة التغيرات البيئية والاتجاه نحو هذه التغيرات والعوامل (حامد زهران، 1998، ص 266).

*** نظرية الذات:**

يعرف حامد زهران مفهوم الذات على أنه تكوين معرفي منظم ومتعلم للمدركات الشعورية والتصورات التقييمية الخاصة بالذات، يبلوره الفرد ويعتبره تعريفا نفسيا لذاته (شاكر قنديل، 1999، ص179).

إن مفهوم الذات يتكون من مفهوم الذات المدرك ومفهوم الذات الاجتماعي ومفهوم الذات المثالي، وبالتالي فإنه يتكون من كل ما ندركه عن أنفسنا ويتم تنظيم مكوناته من المشاعر والمعتقدات التي تشكل في مجموعها إجابة عن تساؤلات من نوع: من تكون؟ وكيف تبدو أمام الآخرين؟ وكيف ينبغي أن تتصرف؟ وإلى من تنتهي؟

إن العنصر المهم في تشكيل مفهوم الذات هو الطريقة التي تتحقق بها عملية تنظيم المشاعر والمعتقدات المتناثرة في إطار وحدة متكاملة (قنديل، نفس المرجع، ص180).

فالاغتراب النفسي وفقا لهذه النظرية ينشأ من الإدراك السلبي للذات وعدم فهمها بشكل سليم وكذلك نتيجة للهوة الكبيرة بين تصور الفرد لذاته المثالية وذاته الواقعية (حسن المحمداوي، 2007، ص46).

7- التحليل الوظيفي لظاهرة الاغتراب النفسي:

يمر الاغتراب النفسي بثلاث مراحل تبين لنا كيف تتم عملية الشعور بالاغتراب النفسي عند الفرد عبر خطوات متتالية، وتتمثل في مرحلة التهيؤ للاغتراب وتلها مرحلة الرفض والنفور الثقافي وآخرها مرحلة الشعور بالإغراب النفسي ومنه نستطيع أن نقر أن الفرد مغترب نفسيا:

*** مرحلة التهيؤ للاغتراب:**

وهي المرحلة التي تتضمن مفهوم فقدان السيطرة ببعديه المتمثلين في سلب المعرفة وسلب الحرية ومفهومي فقدان المعنى واللامعيارية على التعاقب، فعندما يشعر المرء بالعجز أو فقدان السيطرة على الحياة والمواقف الاجتماعية وأنه لا حول له ولا قوة، فلا بد أن تتساوى

معاني الأشياء لديه بل وأن تفقد الأشياء معانيها أيضاً، وتبعاً لذلك فلا معايير تحكمه ولا قواعد يمكن أن ينتهي إليها .

* مرحلة الرفض والنفور الثقافي:

وهي المرحلة التي تتعارض فيها اختيارات الأفراد مع الأحداث والتطورات الثقافية، وهناك تناقض بين ما هو واقعي وما هو مثالي وما يترتب عليه من صراع الأهداف، في هذه المرحلة يكون الفرد معزولاً على المستويين العاطفي والمعرفي عن رفاقه، إذ ينظر إليهم بوصفهم غرباء وعند هذه النقطة يكون مهيئاً للدخول في المرحلة الثالثة (بشرى علي، 2008، ص 521).

* مرحلة الشعور بالاغتراب النفسي:

وهي مرحلة تمثل صورتها الإيجابية في التمرد والثورة، أما السلبية فتظهر من خلال الانسحاب والعزلة الاجتماعية، ودرجة الاغتراب النفسي تختلف باختلاف الظروف المهيأة له ومن ثم تتباين درجة الأفراد والمجتمعات في شعورهم بالاغتراب، كما أن الفرد يمكن أن يشعر بالاغتراب في أحد مجالات حياته لكن لا يشعر في مجال آخر، ويقول محمد عصار "إن غربة الذات تعني أن يكون الفرد أدنى مستوى من ما يطمح إليه بصورة مثالية لو سمحت ظروف المجتمع لتحقيق طموحاته" (حسن إبراهيم المحمداوي، 2007، ص 37)

8- الآثار الناجمة عن الاغتراب النفسي:

لا شك أن للاغتراب آثاراً سيئة تنعكس على الفرد وعلى المجتمع، فقد يشعر الفرد بالنفور والضيق ويلاحظ عليه ذلك من خلال سلوكه مما يؤدي إلى تفكك في بناء المجتمع وقيمه، حيث تمتد آثار الاغتراب النفسي إلى كل من المستوى الفردي والمستوى الاجتماعي.

وقد أوضح منصور حسن عبد الرزاق آثار الاغتراب النفسي على المستوى الفردي والمستوى الاجتماعي فحدد آثار الاغتراب النفسي على المستوى الفردي في نقاط رئيسية وهي:

- الشعور بالاغتراب إلى الضيق النفسي.

- يشعر الإنسان المغترب بانفصاله عن الواقع.

- يعاني المغترب من مشكلة نفسية اجتماعية.

- يؤثر الاغتراب في السلوك فيوجه الفرد إلى وجهة تختلف عن المألوف.

وأما على مستوى المجتمع فقد أوضح بأنه ذو أثر سلبي خطير على كيان المجتمع، حيث يتجزأ إلى قطاعات متعادية لا رابطة بينها وبالتالي يصبح فاقدا للوحدة الفعلية التي لا كيان له بدونها كذلك يفقد المجتمع شخصيته الثقافية ويصاحب ذلك ظواهر سلبية من أهمها الانحلال الخلقي.

أما الياسين جمعة عبد الله فيرى أن الاغتراب النفسي يسبب فقدان الأحاسيس والعواطف والنفور من البيئة الاجتماعية ويؤدي إلى خلق مشاكل في المعيشة، وذلك من خلال عزل الفرد عن بقية المجتمع واغترابه عن بيئته الاجتماعية، وتدهور اهتمام الفرد في النشاطات الاجتماعية وانسحابه ورفض القيم الشائعة في المجتمع، لذلك فإن خطورة الاغتراب النفسي تكمن في ظهور مشاكل خطيرة أمام الأفراد والمجتمع عامة.

ترقيم العناصر إبراهيم محمود عباس أن الاغتراب هو المسؤول عن انتشار الأمراض النفسية والاجتماعية والمتمثلة في:

- المشكلات الاجتماعية:

هناك العديد من المشكلات الاجتماعية الناتجة عن الاغتراب النفسي نذكر منها:

- الإدمان وتعاطي المخدرات: يعد الاغتراب بما يتضمنه من مظاهر وأبعاد أحد العوامل الأساسية للإقدام إلى تعاطي المخدرات وتبين أن الاستخدام المتزايد للمخدرات إنما يمثل معيار لتزايد حالة الاغتراب في المجتمع حيث يمثل التعاطي رفضا للمجتمع وتمردا عليه وشكلا من أشكال التكيف شعور الفرد بالاغتراب وأثبتت العديد من الدراسات على وجود ارتباط إيجابي بين التدخين تعاطي المخدرات والإدمان وبين الاغتراب النفسي، وتعد الفئة الأكثر تعاطي هي

فئة المراهقين الذين يفتقدون إلى الدعم الاجتماعي والقدرة على التكيف ويغلب عليهم الشعور بالعجز.

- انتشار العنف والعدوان: وذلك يظهر في حالات وصور التعدي عن الآخرين بضرهم أو قتلهم أو التعدي عن الممتلكات ولكل حالة التمرد والغضب التي يعيشها المراهق فيها ما يعبر عن ذلك وقد أثبتت الدراسات التي قام بها العديد من الباحثين من بينهم أليس وزميله وعلي وطفة؛ الذين توصلوا إلى وجود علاقة إيجابية بين الشعور بالاغتراب والعنف والعدوان (خليفة، نفس المرجع، ص151).

- انتشار ثقافة التهميش: يعرف كمال دسوقي الشخص المهمش بأنه الشخص الذي ليس عضو مشارك في جامعة ما وخصوصا الذي يقف على الحدود بين الجماعتين غير واثق في عضويته لأي منهم والكثير من الدراسات توصلت إلى أن الاغتراب يؤدي بالضرورة إلى انتشار الثقافة الهامشية.

- انتشار الجنوح والتطرف: إن علاقة الاغتراب بالتطرف يبدو واضحا في ضوء ما كشفت عنه العديد من الدراسات أن المغترب بسبب الدور الذي يفتقده في الحياة كحرمانه من دور الأبوة في فترة يرى نفسه أهلا له، افتقاده الهدف، الضياع في الحياة وغياب الشعور بمعناها وافتقاده لكل أوجه التفاعل مع الآخرين (خليفة، نفس المرجع، ص144)

- المشكلات النفسية: أثبتت دراسات عديدة منها دراسة وفاء محمد فتحي ودراسة محمد إبراهيم الدسوقي إلى أن هناك ارتباط إيجابي بين الاغتراب والاكتئاب، ويعتبر الاغتراب النفسي هو المسؤول عن العديد من المشكلات النفسية الجارة له كالآبة والبؤس والقلق والخوف المرضي والاضطرابات الانفعالية (خليفة، 2003، ص256)

مما سبق نجد أن للاغتراب النفسي آثار بالغة الشدة من الناحية الاجتماعية والنفسية، إذ أثبتت العديد من الدراسات أن سبب معظم هذه المشكلات ناتجة ظاهرة الاغتراب النفسي ولذلك يجب العمل على دراسة هذه الظاهرة ومواجهتها.

9- مواجهة الاغتراب النفسي:

من أهم إجراءات مواجهة الاغتراب ما يلي:

- التصدي للأسباب النفسية والاجتماعية للاغتراب ومحاولة الكشف عنها مبكرا وعلاجها.
- التغلب على مشاعر الاغتراب أو قهرها والرجوع إلى الذات والتواصل مع الواقع.
- تدعيم مظهر الانتماء الاجتماعي وتأكيد الهوية الاجتماعية وتوازن مع الهوية الشخصية
- تصحيح الأوضاع الاجتماعية بما يضمن التفاعل والتواصل.
- تنمية الإيجابية ومواكبة التغير الاجتماعي والاعتزاز بالشخصية.
- تنمية السلوك الديني وممارسة الشعائر الدينية وتطبيق المعايير الدينية في كل جوانب الحياة اليومية.
- تصحيح الأوضاع الثقافي بما يحقق احترام العادات والتقاليد (سناء زهران، 2004، ص116).
- الابتعاد عن التسلط والقسوة وكل مظاهر التربية الغير متوازنة من طرف الآباء واعتماد أسلوب التفهم والتقبل والحوار ومساعدة الأبناء في قضاء حاجاتهم لأجل إعطائهم القدرة على تحمل المسؤولية وبث روح الثقة بالنفس فيهم.
- التركيز في التعليم في جميع مراحل على جوانب الانتماء والابتعاد عن التغريب الثقافي.

وقد تناولت آيات قرأننا الكريم وأحاديث نبينا صلى الله عليه وسلم موضوع الانتماء إلى الجماعة والحفاظ عليها وعلى تماسكها، وفي هذا يقول الله تعالى: " واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين لكم الله آياته لعلكم تهتدون "(الآية 103 سورة آل عمران).

وفي هذا الشأن يقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا"

ويقول -عليه الصلاة والسلام- أيضا " مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"

خلاصة:

ظاهرة الاغتراب بصفة عامة هي ليست وليدة العصر فهي قديمة قدم الإنسان، ومن خلال ما سبق اتضح لدينا أن الاغتراب النفسي شعور سلبي يؤثر على حياة الفرد وعلى تواصله وتكيفه ويسبب له الكثير من الاضطرابات والمشكلات مثل القلق والتوتر واللامبالاة والشعور بعدم القدرة أو العجز، والذي يكمن في شعور الفرد بعدم القدرة على التحكم في نواتج السلوك الخ....

وعليه يجب دراسة الاغتراب النفسي من أجل معرفة مختلف جوانبه وأشكاله كذلك الأسباب التي تؤدي إلى ظهوره وكيفية مواجهته والاغتراب النفسي من بين المواضيع التي تأخر الاهتمام بها كثيرا في مجال النفسي عموما، هذا على الرغم من أهميته ووجوده كظاهرة تستحق البحث لما يحدثه من تأثير على الفرد والمجتمع على السواء.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.

- أحمد النكلاوي (1989)، الاغتراب في المجتمع المصري المعاصر، دراسة تحليلية ميدانية لافتقار القدرة في ضوء الاتجاه الماكرونبوي في علم الاجتماع، دار الثقافة العربية، القاهرة مصر.

- حماد على أحمد (1995)، الاغتراب من منظور علم الاجتماع، الكتاب السنوي الثالث الجمعية المصرية للدراسات النفسية، القاهرة، مصر.

- السيد علي شتا (1998)، اغتراب الإنسان في التنظيمات الصناعية، مؤسسة شباب الجامعة الاسكندرية، مصر.

- محمد خضر عبد الفتاح (1999)، الاغتراب والتطرف نحو العنف، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.

- منصور حسن عبد الرزاق (1989)، الانتماء والاغتراب، دار جرش للنشر والتوزيع، خميس مشيط، الأردن.

- عبد اللطيف محمد خليفة (2003)، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، ط1، مصر دار غريب

- حسن إبراهيم حسن المحمداوي (2007)، العلاقة بين الاغتراب والتوافق النفسي لدى الجالية العراقية في السويد، رسالة دكتوراه غير منشورة، الأكاديمية العربية المفتوحة بالدنمارك السويد

- عفاف عبد المنعم (1988)، العوامل النفسية والاجتماعية المؤدية إلى إدمان المخدرات وآثارها على السلوك، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، مصر.